Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضوحاً كان أجود وأحسن، وكلما كان أقرب كان أسرع إلى الفهم مثل: تشبيه الشاعر الأصابع بالأغصان، والعناب بأطراف مخضوبة بعكس ما لو كان شبه أصابع الراحة بالأشجار وأصابع راحته ببستان. وعن طريق الكناية يلجأ إلى اللزوم والتلازم بدلاً من نسبة الشيء إلى ذات الموصوف. وهذه العملية تربط بين الظواهر والكائنات والأشياء. والآليتان كلتاهما تؤديان عملية الربط والتعليق والتوصيل، ولكن الاستعارة تؤديها بالمشابهة أو المماثلة، والكناية تؤديها عن طريق المجاورة والإضافة. والآليتان كلتاهما أداتان من أدوات الحمل الأساسية، فهما، إذن، رسوم لموضوع ما.

هكذا حافظ ابن عميرة على المنطلقات البلاغية الأصيلة لتحافظ البلاغة ـ بدورها ـ على الوظائف التي أنشئت لأجلها، وهي التواصل والإقناع والإمتاع. ومراعاة لهذه الوظائف يعرفها بأنها: «صناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريده الإنسان أو يراد منه بتمكن من إيقاع التصديق به وإذعان النفس له»[47]، ولتحقيق هذه الوظائف لا بد من توفر أركان ثلاثة: مخاطِب ومخاطَب ومقتضيات أحوال؛ فعلى المخاطِب أن تكون مقدماته مقبولة أو مظنونة إن كانت نثراً، وأن تكون مقبولة متخيلة تنبسط منها النفس أو تنقبض إنْ كانَتْ شِعْراً؛ومهما كان نوع المقدمات فإنه يجب أن تراعى العلائق الظاهرة أو الشبيهة بالظاهرة والتناسب الجمالي الذي يقوم على المشاكلة والمخالفة بين الألفاظ،وأن يقدم له بذلك كله ما فيه فائدة. وأما المخاطب فهو الهدف المتوخى من الفعل البلاغي، ولذلك، فإن المخاطب يكيف استراتيجيته حتى يمكن أن يفهمه ويصدقه ويقتنع به لتحقيق أهداف وغايات كثيرة، منها «تحقيق العقائد الإلهية، ومنها بيان الحق في غيرها، ومنها تمكين الانفعالات النفسية والإعراض والتشجيع والتحذير وتكون في مدح وذم وشكاية واعتذار وإذن ومنع... واستدعاء المخاطب إلى فضل تأمل وزيادة تفهم...»[48]؛ وأما مقتضيات الأحوال فهي أساس مشروع ابن عميرة البلاغي الذي يهدف إلى تحقيق وظائف دينية ودنيوية.

7 ـ آفاق:

يستنتج قارىء ما تقدم، وقارى تقييد ابن عميرة، أن اختلاف المنطلقات النظرية وأنساقها تؤدي إلى سوء التفاهم بين المتناظرين، إذ كل منهم يحاول أن يجذب مناظره إلى مجاله. ولذلك، فإن الجاذب كثيراً ما يقترف مغالطات فيحرف كلم

(47) التنبيهات، ص 113.

(48) التنبيهات، ص 114.